اليوم

دابا يا قلبي دابا أغنيات لحبّ لا يرتوي

ذاكرة نساء دير البلح

يمثّل الالبوم الصادر حديثاً عن «جمعية نوى للثقافة والفنون» بالشراكة مع «جفرا للإنتاج الموسيقي» توثيقاً لثماني مقطوعات من التراث الشعبي للبلدة الفلسطينية التي تقع بالقرب من مدينة غزّة، كانت تُغنّى في ليالي الحنّاء والافراح بشكل جماعي غالباً

محمود منير

«ولابعت لمحمد مكتوب لابعت لمحمد مكتوب/ بالعجل رد الجوابا بالعجل رد الجوابا/ تحرم عليا الكحلي تحرم عليا الكحلي/ ما دام حبابي غيابا ما دام حبابي غيابا/ تحرم عليا الصفة تحرم عليا الصفة/ ما دام حبابي غيابا ما دام حبابي غيابا»، بهذه الكلمات تنادي المرأة حبيبها في انتظار إعلان زواجهما، بعدما حرّمت الكحل وتصفيف الشعر على نفسها، ما دام هو غائباً عنها.

يرد هذا المقطع ضمن أغنية «دابا يا قلبي دابا» الذي يحمل ألبومَ غنائي عنوانها، وقد صدر حديثاً عن «جمعية نوى للثقافة والفنون» بالشراكة مع «جفرا للإنتاج الموسيقي»، ويشتمل على توثيق لثماني مقطوعات من التراث الشعبي الذي حفظته نساء بلدة دير البلح الفلسطينية (حوالى 15 كيلو متراً جنوب غزّة)، ونقلنه من جيل إلى جيل.

في مضمونها وموضوعها، تتشابه هذه المقطوعة مع أغان تُردَّد في ليالي الحنّة في العديد من مناطق بلاد الشام ومصر، التي تودّع فيها العروس صديقاتها وجاراتها عند الانتقال إلى بيت زوجها، بحسب تقديم فريق البحث في المشروع الذي يُشير إلى أن المقطع الأخير منها («خيل أجتنا الواد الواد/ خيل أجتنا عصرية») يُقال ترحيباً بالضيوف الذي يأتون لتقديم تهانيهم خلال الأعراس.

تعكس كلمات «دابا يا قلبي دابا» وسبع أغنيات أخرى يتضمّنها الألبوم، جرأةً في التعبير عن الشوق الذي يستبدّ بالمحبّين، ورغبتهم في الوصل واللقاء، كما تحمل تقديراً للعريس بما تطلقه من تحيّات اعتزاز برجولته وشجاعته وحفظه لكرامة أهله، ووعداً بأن تسانده عروسته وتعيش معه مهما تقلّبت تصاريف الزّمان.

وتعدّ الأغنية التراثية سجلاً حيّاً للعديد من الطقوس والعادات والتقاليد، وتحتوي في العديد منها ـ كما يبرزه الألبوم ـ على جوارية تشير إلى الطابع الجماعي الذي تقدّم خلاله ما يسمّى «أغاني المردّدية»، حيث تؤديها امرأة وتعيد النساء من ورائها غناء لازمة أو بعض مقاطعها، بمرافقة آلات موسيقية مثل الطبلة والدفّ والناي واليرغول، أو من دونها، كذلك لا يغيب الرقص عنها أيضاً.

يشير بيان المشروع إلى أن الأغنيات الثماني تمثّل «مختارات من مناسبات أفراح الغزّيين في فلسطين، التي تعكس تراث وعادات وتقاليد دير البلح الساحلية على وجه الخصوص، بما يحمل إرثها التاريخي الغني من تنوّع ثقافي ومجتمعي تأثّر بمحيطه الحضاري والجغرافي على مرّ الزمن».

وقد جُمعَت الأغنيات وؤثّقت عبر توثيق روايات الجيل الأول من نساء البلدة (باتت تُعتبر مدينة اليوم) عام 2018، ثم سُجّلَت في «استوديو جفرا – فلسطين»، بتمويل من «الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون» (SDC) و«مؤسسة دروسوس»، وضمّ فريق البحث والتوثيق كلاً من أماني النجا، وروان أبو سلطان، ورولا أبو زايد، وعليان الفليت، وآية البحيصي، وأسماء منسي، وشريف ديب، وعلام صرصور، وهناء أبو زيدان، وعلاء بشير، ويوسف ديب، وعلي المصري، وزهير أبو لية.

ولا تخلو هذه المقطوعات التراثية من مفاخرة مجموعة من النساء بعائلاتهنّ، من خلال هجاء عائلات مجموعة أخرى في طابع يميل إلى السخرية، كما في أغنية «صفّ البراري»، حيث تقول نساء الحارة الشرقية: «وانتن يا غربيات يا قعور الجرة/ وانتن يا غربيات يا قعور الجرة»، فيأتي جواب نساء الحارة الغربية: «واحنا الغربيات ذهب في صرّة/ واحنا الغربيات ذهب في صرّة».

وتتخلّل أقوال الهجاء العديد من أشعار الغزل، ومنه: «وادحرجي يا بيضة لَمي البلح/ من يوم شفت البيضة قلبي انشرح/ وادحرجي يا سمرا نقّي الرطب/ من يوم شفت السمرا قلبي انعطب»، لينتهي مجلس التفاخر بحاراتهنّ إلى نشيد يوحّد انتماءهن إلى دير البلح، ويرد فيه: «واحنا الديراويات عال العالي/ يا خيولهن سابقة الخيالي يا خيولهن سابقة الخيالي/ واحنا الديراويات وما فينا الدنس وانطايح (نُنزل) الخيّال عن ظهر الفرس/ وانطايح الخيال ونقعد مطرحو...». يُعاد توزيع أغنيات الألبوم بآلات كانت تُستخدم أحياناً في الماضي خلال الأعراس ومواسم الحصاد، ومنها العود بعزف فراس أغبر، والناي والبرغول والرقّ بأداء محمد خمايسة وعماد دار خليل وهاني أسعد على التوالي، مع إيقاعات سامر جرادات، ودمج آلات شرقية وغربية لم تكن متداولة سابقاً يعزف عليها كلّ من شارلي رشماوي (باص وغيتار) ويعقوب حمودة (قانون) وإيهاب هنية (بزق وساز)، إلى جانب غناء يمنى أبو هلال، وميرا أبو هلال، ونغم حدوي، وأمير جبارين، ومحمود عوض، ونادر حمودة، وعبادة جميدات.

ترتبط العديد من الكلمات الموثّقة بأحوال الطقس وتعاقب الفصول، ومن هذه التراويد القديمة التي أُعيدَ توزيعها محافظةً على لحنها الشعبي، أغنيةُ بعنوان «بركة الحمام» تصف تجمّع الأمطار في برك مائية تنمو على حوافها النباتات ويحوم حولها البطّ البرّي، حيث يرد في أحد مقاطعها: «بلون القمرة خدو الجميل يا ناس/ بلون القمرة ليلة يا بدري/ بلون منديلو خدو الجميل يا ناس/ بلون منديلو ليله يا بدري/ لاروح واجيلو على عيون الناس/ لاروح واجيلو ليلة يا بدري».

لا تتوقّف مضامين الأغاني عند حالات الوجد والوله لدى العشّاق، فهي تتطرق أيضاً إلى كراهية أحد الزوجين للآخر والرغبة في تركه، والبحث عن شريك جديد، مع تعداد جميع تلك الأسباب التي قادت إلى الجفاء والبُغض بينهما، حيث تُذكَر في أغنية «ما بريدو» بنوع من الفكاهة والهزل، كما يظهر في بعض أبياتها: «ما بريدو ما بريدو ما بريد/ غير أدورلي على ولفّ جديد (أبحث عن حبيب جديد)/ ما بريد إلي جفا وأعطى قفاه/ بيلا بسكينة حفا وأنا أكون شديد.../ لبّست القبقاب وديق عالكعاب/ جوزها النصّاب وبيلا بالعمى».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> تعكس كلمات الالبوم جراة في التعبير عن شوق المحبّين

> جُمعت الأغنيات بتسجيل روايات الجيل الاول من نساء البلدة

نساء يفرزن وينقّين تموراً بعد قِطافها، دير البلح، ايلول/ سبتمبر 2016 (Getty)

حافظات التراويد

جُمعت اغاني الالبوم من عدد من حافظات تراث دير البلح، وهنّ: كاملة ابو عيسى، التي رحلت قبل صدوره، وداليا ابو سلطان، وعبلة ابو عيسى، وزهوة ابو قاس، وفرحانة ابو سمر، وسعدية ابو عيد، وهانم ابو اسد، وغالية ابو قاسم، وعصاف بشير، وسراري ابو عيسى، وجليلة الفليت، وليلى الفليت، وآمال طرابيش، وفاتن بشير، ومريم ابو هدبة، ووداد نطط، وسهيلة ابو سمرة، وفرحانة ابو مصبح، وسعدية ابو قينص، وفريال ابو عيسى، وغيرهنّ.

معرض

سوتين/ دي كونينغ عودة إلى تلقٍّ أميركي لرسّام روسي

في البحث عن أثر الذهول

عبر حوار بين خمسين لوحة، يسْعى المعرض، الذي يقيمه متحف «لورانجري» الباريسي، إلى إظهار التأثير الكبير لأعمال سوتين على لوحات دي كونينغ

باريس ـ **العربي الجديد**

عندما وصل شايم سوتين إلى باريس، حوالي 1912 (وهو عامُ تقريبي يتّفق عليه أغلب مؤرّخي سيرته)، كان كمَن يخرج من شكل من البؤس ليدخل شكلاً آخر. لم يكن أيّ شيء يوحي بأنّ الشاب الروسي، الذي لم يكن قد بلغ العشرين من عمره بعد (وُلد عام 1893 أو 94 قرب مينسك، عاصمة بيلاروسيا حالياً، وتوفي عام 1943 في باريس)، سيصبح واحداً من أبرز التشكيليين بين أبناء جيله، ليس الروس فحسب، بل الأوروبيين بشكل عام.

فسوتين الذي عاش طفولة صعبة على هامش الإمبراطورية الروسية، وجد نفسه في قيعان المجتمع الباريسي، وإن كان الحديث هنا عن قيعان ثقافية، من تشرُّد وبوهيمية مع فنانَين شبّان أو مكرّسين، قضى إلى جانبهم، في حيّ مونبارناس الذي كان «عاصمة» الحركات الفنّية والشعرية في ذلك الوقت، عشر سنوات من الفقر المدقع رغم موهبته، حيث كان ينام ليلةً في بيت هذا الفنان، وأخرى في بيت ذاك، وأحياناً في الشارع أو في مدخل مبنى.

سيعيش سوتين على هذه إلى حين اكتشافه في بدايات العشرينيات من القرن الماضي، على يد مقتني اللوحات الأميركي ألبرت بيرن، الذي سيشتري منه ثلاثين لوحةً على الأقل، بين بورتريه ومنظر طبيعي، ما سيُخرجه مؤقّتاً من بؤسه ويحوّله إلى فنان معروف وحتى مؤثّر في محيطه، خاصة حين راحت لوحاته تُعرَض في العاصمة الفرنسية وفي بلدان أُخرى، لا سيّما في الولايات المتّحدة، التي سيعرف فيها شهرةً. بفضل المقتني بيرن. بدءاً من ثلاثينيات القرن الماضي.

هكذا سيتمكن الفنان الهولندي، الواصل حديثاً إلى أميركا، ويلم دي كونينغ (1904 - 1997)، أن يكتشف أعمال سوتين خلال تكوينه الفني في مدينة نيويورك. لقاءٌ سيترك بصمة أساسية على دي كونينغ الذي سيُعلن لاحقاً أنه «ذُهول» بأسلوب سوتين في الرسم. هذه العلاقة بين الفنانين، أو بالأحرى العلاقة التي بناها دي كونينغ مع أعمال سوتين، هي موضوع معرض بعنوان «سوتين/ دي كونينغ: التشكيل مُجَسّداً»، افتُتح أخيراً في متحف «لورانجري» في باريس، حيث يستمرّ حتى العاشر من كانون الثاني/ يناير 2022.

يقدّم المعرض نحو 50 لوحة للفنانين، توزّع في صالاته بما يشكّل حواراً بين أعمالهما، مع التركيز على عدد من المحاور التي تبدو مشتركةً فيما بينهما: العلاقة («المتوتّرة»، بحسب بيان المعرض) بين الشكل واللاشكل، ورسم اللحم البشري، والأسلوب الإيمائي لكلّ منهما. لكنّ المعرض، الذي يقدّم سوتين بوصفه فرنسياً، ودي كونينغ بوصفه أميركياً، لا يذكّر بأن تجربة المنفى والقطع مع الماضي عبر تقمّصه هوية اجتماعية ووطنية جديدة تشكّل أيضاً حلقة وصل بينهما، وإن كانت أقلّ مباشرةً في حضورهما ضمن أعمالهما منه في حياتهما.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> الجمع بينهما قد يفاجئ مَن ينظر إليهما من باب التصنيفات المدرسية

«منظر طبيعي باسقف حمراء» لـ شايم سوتين، 1919 (من الأعمال المعروضة)

قراءة

الخطّ الأبيض من الليل حكاية الهرب إلى نفَق

كابوس اسمه البيروقراطية

في «الخطّ الابيض من الليل»، يبني الكاتب الكويتي خالد النصر الله اكثر من رواية تدور في فلك قصّته المحورية: قصّة مدقّق في مؤسّسة حكومية

عباس بيضون

لا نجد في رواية الكويتي خالد النصر الله الصادرة عن «دار الساقي» اللبنانية ما يتّصل بعنوانها، «الخطّ الأبيض من الليل»، لكنّ أحداثها المتلاحقة المتراكمة لا تكاد تتواصل وتنبني في رواية واحدة. لنقُلْ إن رواية النصر الله تستدعي ما يمكن أن يكون تجارب في اتّجاهات عدة، بل روايات شتى. إنها على ذلك مكتظّة بعدد من الروايات التي كُتبت غالباً ببراعة لافتة وقدرة أدبية لا نفهم كيف جنح النصر الله، مع تملّكهما، إلى هذا التعدُّد، الذي يصل إلى المراكمة والاكتظاظ.

هناك أوّلاً رواية المدقّق بأصلها الكافكاوي، المدقّق الذي يعمل في مؤسّسة حكومية بكلّ جوّها البيروقراطي، والذي يدعوه ذنبٌ غامض يقترب من عُقدة الذنب الكافكاوية، إلى أن يهجر وظيفته ويهرب إلى نفق يشبه ما كان يعرض له في كوابيسه، وأن يُستدعى إلى محاكمة تذكّر، من بعيد، بمحاكمة كافكا. من الجانب الآخر، هناك قصّة الرقابة التي تعود إلى أقسى ممّا كانت بعد رفعها لعامين، والتي تشكّل خلفية غامضة لعقدة الذنب لدى المدقّق، والرقابة هذه تستدعي مقاومة من الكتّاب واللجوء الى مكتبات أرضية، ما يجعلنا قريبين من السياسة ومعارك الحرّيات.

هناك أيضاً الرواية التي يكتبها المدقّق والتي تدور حول هيام بكُتب الأطفال يبقى لديه في شبابه. هيام يجعله يحتفظ بمكتبة كاملة من هذه الكتب. هذا ما يستفزّ شخصاً ـ هو شيطان المكتبات ـ وهوسه بإحراق هذا النوع من الكتب، فيطارد صاحب المكتبة مطاردة تدور أيضاً في غموض. قد نجد علاقة ما بين عمل المدقّق والمطبعة التي ورثها عن أبيه، وقيامه بالاحتيال على الرقابة التي يعمل فيها، لكنّنا لا نجد صلة بينه وبين شيطان المكتبات، الذي لا نعرف إن كان حقيقياً أو مجرّد هلوسة. مع ذلك، فإن هذا الحشد لا يخفي فقط تضلّعاً من الكتابة، بل ومن السرد، منذ أن نبدأ القراءة. صحيح أن شخصيات الرواية جميعها غامضة وغير متكاملة. ليس المدقّق فحسب هو هذه الشخصية التي تُزاوج بين الوقائع الباردة للعمل في مؤسّسة حكومية بكل روتينها وبيروقراطيتها، وبين حياة أخرى كابوسية، بل هي في جانب منها تكاد تنبع من كوابيس صاحبها، فحين يهرب المدقّق، يهرب إلى نفق قريب جداً ممّا كان يُبصره في كوابيسه، بل هو يكاد يتطابق مع رؤيا من هذه الرؤى.

ليس المدقّق وحده هذه الشخصية، بل هناك إلى جانبه شخصيات، إن كانت أكثر واقعية، إلا أنها تبدو وكأنها تلتحق بشخصية المدقّق العائمة في التذنيب والهلوسة. شخصية «المهذّب» الذي يجمع كتب الأطفال ويخضع لملاحقة شيطان الكتب، يكاد يكون استكمالاً لشخصية المدقّق.

ثم إن الشخصيات الأخرى ليست في غالبها سوى إضافات سريعة إلى شخصية المدقّق، أخته وحبيبته المختفية وأمه. ربما وقفنا قليلاً عند شخصية المسؤول البيروقراطي الذي يمثّل السلطة، لكن هذه الشخصية، في ما عدا موقعها، ليس لها حكاية، وليس لها أكثر من وظيفتها ورمزيّتها الصادرة عنها. تكاد الرواية لذلك تكون رواية المدقّق التي تبنّي حكايته على ما يكاد يكون «محاكمة». هنا لا يسعنا إلا أن ندلّ على براعة النصر الله، إذ إن هذا المزج بين البيروقراطية والسلطة والتذنيب الهذياني والهلوسة الإدارية، كلّ ذلك مكتوب بقدرة على السرد والتفنّن فيه. بالتأكيد ليست الرواية المقابلة، رواية شيطان المكتبات، أقلّ قوّة سردية. بل نحن هنا أمام ما يبدو مستقبَلاً للرواية العربية، وأفقاً جديداً لها. إن خيال هذه الرواية هو بالتأكيد خيالٌ خلّاق، كذلك فإن الفكر الذي ينطوي عليه هذا الخيال هو فكر محبوك بقوّة. مع ذلك فإن الجمع بين الروايتين يبدو، في أحيان، ثقيلاً، بل يبدو وكأنه شطحٌ يذهب أبعد ممّا يجب. إننا أمام روايتين لا نعرف إذا كان من الأفضل أن تكون كلّ منهما وحدها. يمكننا أن نتكلّم عن اكتظاظٍ هنا، مع أننا لا نلاحظ أن هذا يستتبع ضعفاً من أيّ نوع. نظلّ نقرأ منجذبين إلى قوّة السرد والقدرة على التفصيل الحساس والذكي، والخيال شبه الشاعري. إننا هكذا أمام رواية مستقبلية، وليس اكتظاظها الثقيل أحياناً إلا من عواقب تجريب لا نزال، مع ذلك، نشعر بقوّته.

(شاعر وروائي من لبنان)

> عُقدة ذنب ومُحاكمة تذكّران من بعيد بأجواء كافكاوية

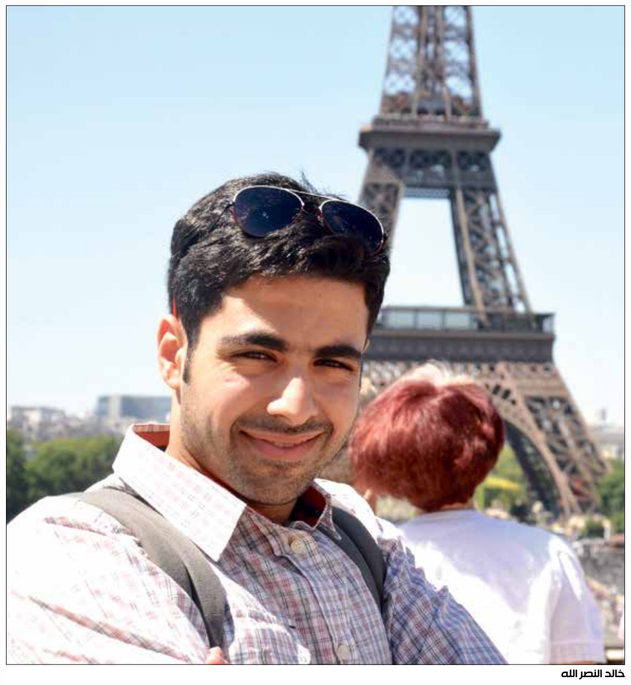

خالد النصر الله

فعاليات

تتواصل اليوم الاحد اعمال ندوة **المسرح قبل الثورة وبعدها** التي انطلقت امس في «مركز ام درمان الثقافي» بالعاصمة السودانية. وتتناول جلسة اليوم موضوعي الفرق المستقلّة ومستقبل الحركة المسرحية في السودان، ويتحدّث خلالها **وليد الالفي** و**مجدي الفاضل سعيد** و**امين سنادة** و**امين صديق** و**قاسم ابو زيد**.

يستضيف فضاء «سانت جون هوكستون» في لندن عند الثامنة من مساء الاربعاء المقبل حفلا موسيقيا بعنوان **ليالي سورية** بتنظيم من «مؤسّسة تقاسيم». يشارك في الحفل كلّ من الموسيقيين **تيم صالح** الذي يحمل إجازة في آلة القانون، و**باسل صالح** (الصورة) الذي ألّف العديد من المقطوعات لآلة العود وغنّاها ضمن فرقته «نشاز»، و**وليد زيدو** المتخصّص في الإيقاعات الشرقية.

ضمن فعاليات الدورة السابعة من «اسبوع الفيلم الالماني» التي انطلقت الخميس الماضي في بيروت، يُعرض عند السابعة والنصف من مساء غدٍ الاثنين فيلم **برلين اليكسندر بلاتس** للمخرج الافغاني الالماني **برهان قرباني**. يتناول العمل قصّة مهاجر «غير شرعي» من غرب افريقيا وما يعايشه من مشاكل في المانيا.

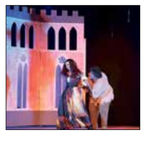

تُعرض عند التاسعة من مساء اليوم، في «قاعة زكي طليمات» بمسرح الطليعة في القاهرة، مسرحية **احدب نوتردام**، من إخراج **ناصر عبد المنعم** وترجمة وإعداد **اسامة نور الدين**، عن رواية للكاتب الفرنسي **فيكتور هوغو** التي تحمل العنوان نفسه. يتناول العرض، في لوحات استعراضية وغنائية، مأساة الاحدب كوازيمودو.